نقص السكان في فرنسا

الامة الفرنسوية من ارقى امم الارض واعلاها كعباً وارسخها في المدنية قدماً ولقد افادت العالم بكثرة من نبغ من ابنائها وبما لها من المساعي المشكورة في سبيل نشر المدنية وحمل نور المعارف الى الامم الاخرى خصوصاً امم الشرق . فاذا نكبت تألم لها اهل المدنية عموماً واذا حل بها وهن فقدت المدنية ركناً من اعظم اركانها . وقد كان كتّاب الفرنسويين وذوو الشأن منهم يحذرون امتهم من خطرين عظيمين الاول غزو الالمان لفرنسا والثاني عدم ازدياد الفرنسويين في عددهم بقدر ما تزداد الامم الاوربية الاخرى . اما الخطر الاول فقد دهمهم الآن بوقوع الحرب بينهم وبين الالمان فان خرجوا ظافرين ازدادوا بسطةً ورفعةً وان خرجوا مقهورين فقد قهروا من قبلُ فلم يلبثوا ان اصلحوا ما فسد من امورهم وعادوا الى منزلتهم بين امم الارض العظيمة . اما الخطر الثاني فقد صورهُ بعض الكتاب بصورة داء دفين يوهن قوة الامة الفرنسوية ويصيرها الى الاضمحلال

يخيف الفرنسويين ان الشعوب الاوربية المجاورة لهم آخذة في النمو والازدياد سريعاً وانهم هم لا يزدادون مثلها فسنة ١٨٧٢ كان الشعب الفرنسوي ٣٦٠١٠٢٠٠٠ نفساً فاصبح ٣٩٦٠١٠٠٠ سنة ١٩١١ اي انهُ زاد نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون . ولكن الشعب الالماني الذي كان ٤٠٠٠٠٠٠٠ اصبح ٦٥٠٠٠٠٠٠ اي انهُ زاد خمسة عشر مليوناً عدا عمن هاجر منهُ الى اميركا والبلدان الاخرى والشعب الانكليزي الذي كان ٣١٨٤٠٠٠٠ اصبح نحو ٤٥٠٠٠٠٠٠ عدا عمن هاجر منهُ الى المستعمرات الانكليزية والشعب النمساوي المجري الذي كان ٣٥٧٠٠٠٠٠ اصبح اكثر من ٤٩٠٠٠٠٠٠ والشعب الروسي الذي كان نحو ٨٠٠٠٠٠٠٠ اصبح اكثر من ١٥٥٠٠٠٠٠٠

وقد قال المسيو بوتيون في خطبة لهُ القاها سنة ١٩١٢ ان الشعب الفرنسوي كان ١٨ في المئة من اهل المدنية سنة ١٨١٥ فامسى ١٠ في المئة منهم . وان الذين يتكلمون الفرنسوية لا يزيدون على ٥٠٠٠٠٠٠٠ من البشر اما الذين يتكلمون الالمانية فيقربون من ١٢٠٠٠٠٠٠٠ والذين يتكلمون الانكليزية يبلغون ١٥٠٠٠٠٠٠٠ . وكانت فرنسا الاولى بين الممالك الاوربية في عدد السكان سنة ١٧٨٩ فصارت الآن السادسة ويتلوها في المرتبة ايطاليا التي لا تقل عنها كثيراً في عدد سكانها . واشار المسيو بوتيون في خطابهِ الى المضار التي تنجم عن نقص السكان نقال ان الصادرات الفرنسوية تكاد تقف عن الازدياد

لقلة العملة بينها الصادرات الالمانية آخذة في الازدياد وقد اصبحت ضعفي ما كانت منذ ثلاثين سنة . وان ما تعبئهُ المانيا من المقاتلة يزيد عمَّا تعبئهُ فرنسا خمسين في المئة وكانتا متساويتين في ذلك قبل هذا الاوان بار بعين سنة . ولا تقدر فرنسا ان ترسل الى املاكها من يعمرها وينشر النفوذ الفرنسوي فيها . وقد قلت اهمية اللغة الفرنسوية ايضاً لانها كانت اللغة العامة لنشر الكتب العلمية والصناعية فخسرت مركزها هذا الآن . واخذت المواليد تقل في فرنسا في القرن الماضي مع انها كانت تزداد في الممالك الاخرى فسنة ١٨١٠ كانت المواليد فيها ٧٠٠٠٠٠ فهبطت الى ٩٢٧٠٠٠ سنة ١٨٣٦ ثم الى ٨٤٧٠٠٠ سنة ١٨٧٦ ثم الى ٨٧٠٠٠٠ سنة ١٨٩٦ ثم الى ٧٤٢١١٤ سنة ١٩١٠ وكانت قد زادت قليلاً سنة ١٩٠١ وسنة ١٨٩٧ كانت زيادة المواليد على الوفيات ٨٠٠٠٠ فهبطت الى ٨٣٠٠٠ سنة ١٩٠٢ ثم الى ٢٦٠٠٠ سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١٠ زادت الوفيات على المواليد ٣٤٨٦٩ فكأن فرنسا خسرت تلك السنة سكان مدينة مثل نوفيل او فردون

اما في الممالك الاخرى فزيادة المواليد مطردة فتزيد المواليد الشرعية كل سنة ٧٥٠٠٠٠ في المانيا و ٦٠٠٠٠٠ في النمسا والمجر و ٥٠٠٠٠٠ في بلاد الانكليز و ٣٠٠٠٠٠ في ايطاليا . وما يخيف الفرنسويين هو انهم يرون المانيا تزداد كل سنة من المواليد وحدها نحو مليون نفس بينهم بدأوا يقولون . وقد قال فون مولتكي ان المانيا تربح معركة حربية من فرنسا كل سنة اذ يزداد سكانها نحو مليون نفس . وقال المسيو دي فوفيل ان فرنسا تفقد اربعة فيالق كل ١٥ سنة

ويظهر من احصاءات الآونة الاخيرة ان المواليد آخذة في النقصان في جميع المقاطعات الفرنسوية ويزيد عدد الوفيات على عدد المواليد في كثير منها وهو في بعضها ضعفاه . وكان متوسط المواليد لكل الف من السكان ٣٠٫٨ سنة ١٨١٠ فهبط الى ١٩٫٦ سنة ١٩٠١ وهو في بعض المقاطعات ٩٫١٠ . ويؤخذ من بعض الاحصاءات انهُ لم يولد في باريس السنة الماضية الاَّ ولد واحد لكل ثلاثين عائلة

وقد كان متوسط عدد الاولاد لكل مئة عائلة فرنسوية ٤٢٤ سنة ١٨١٠ فهبط الى ٣١٦ سنة ١٨٦٠ وهو الآن نحو ٢٠٠ ولد . ويقل هذا المتوسط بين اغنياء باريس وصغار الملاك والمأمورين حتى يبلغ ١٥٠

وقد جاء في احصاء نظارة العمال سنة ١٩٠٨ ان العائلات الفرنسوية التي لا اولاد فيها كانت ٨٠٤٧٠٠ والعائلات التي فيها ولد واحد ٢٩٦٦١٧١ والعائلات التي فيها ولدان

٩٧٨ ٢٦٦١ والعائلات التي فيها ثلاثة ٥٤١٥ ٦٤٣ . اما العائلات التي فيها اربعة اولاد فلا تزيد على ٣٩٢ ٩٨٧ فالعائلات التي فيها اربعة اولاد او اكثر كانت ٣ ٢٣٨٧٨٠ والعائلات التي فيها ثلاثة اولاد او اقل والتي لا اولاد فيها كانت ٩ ٧٦ ٢٧٤ .

اسباب النقص

تضاربت الآراء في اسباب النقص في الشعب الفرنسوي وقد قيل ان من هذه الاسباب كثرة الوفيات . فمتوسط الوفيات لكل الف من السكان في فرنسا يقرب من ٢٠ وهو دون ذلك بكثير في بلاد الانكليز وهولندة واسوج ونروج والمانيا وسويسرة ويقل في نروج حتى يبلغ ١٤ . ووفيات الاطفال على الخصوص كثيرة في فرنسا فثلث الوفيات جميعها من الاطفال الذين دون الثالثة من العمر . ومما يعمل على زيادة الوفيات في فرنسا شدة فتك السل اذ يموت به كل سنة ٢٢٫٥ من كل ١٠٠٠ من السكان اما في المانيا وبلاد الانكليز فقد هبط عدد الوفيات به حتى صار ١١ من كل ١٠٠٠ من السكان ويشتد فتك هذا الداء في مدينة باريس وقد بلغت وفياته فيها ١٣٦٠٠ سنة ١٩٠٨ .

وقيل ان ادمان المسكرات من العوامل التي تعمل على كثرة موت الاطفال وقلة المواليد . فان وفيات الاطفال تكثر في المقاطعات التي يكثر فيها تعاطي المسكرات . وقد قال المسيو ريبو العضو في مجلس الشيوخ ان تعاطي المسكرات والسل يعملان على ابادة الشعب الفرنسوي ووافقهُ على ذلك الباحثون في الامراض التي تسببها المسكرات . ويتضح من الاحصاءات ان تعاطي المسكرات في فرنسا آخذ في الازدياد ومتوسط ما يشربهُ كل واحد من الفرنسويين في السنة ١٤ لتراً . ويتضح منها ايضاً ان جانباً كبيراً من المجاذيب في الملاجئ جنوا لتعاطيهم المسكر . ولا ينكر ما لتعاطي المسكرات من الضرر ولكن لا نصيب لهُ في تقليل المواليد فهو لا يسبب العقم ثم ان الانكليز والبلجيكيين والالمان يتعاطون المسكرات مثل الفرنسويين ومواليدهم كثيرة

وقد ذهب بول لروى بوليو وجماعة غيرهُ الى ان لارتخاء حبل الدين وتبدد الفرنسويين تقاليدهم القديمة يداً في نقص المواليد فان ولادة الاولاد كانت تعد من الواجبات الدينية ولم يبقَ لها تأثير الآن في الشعب الفرنسوي الذي كاد يتبدد الدين بتاتاً . وقد قال لروى بوليو انهُ لو كانت المواليد في مقاطعات فرنسا كلها منذ سنة ١٨٧١ مثل ما هي في مقاطعة فستر المتمسكة بالدين لكان في فرنسا الآن ٥٣٠٠٠٠٠٠ من السكان لا ٣٩٠٠٠٠٠٠ فقط . ويقول انصار الدين ايضاً ان المواليد في مقاطعة كوبك في

كندا اكثر منها في فرنسا وكذلك يقال عن البلجيك وكوبك والبلجيك من البلدان التي رسخت فيها قدم المذهب الكاثوليكي . ويذهب آخرون الى ان قلة الزيجات من اسباب قلة المواليد ولكن الزيجات في فرنسا ما زالت آخذة في الازدياد فقد كان عددها ٢٦٩٣٣٢ سنة ١٨٩٠ فزادت الى ٣٠٧٧٨٨ سنة ١٩٠٠ مع ان المواليد قلت في المدة ذاتها فكثرة عقود الزواج لا تزيد المواليد وانما يزيدها الزيجات التي يقصد بها توليد النسل

ويرى آخرون ان الطلاق يدٌ في قلة المواليد ويرد عليهم غيرهم بان الطلاق قد يعمل على زيادة المواليد لا على قلتها لانهُ يمكّن من جاءت زيجتهُ عقيمة من ان يحلها ويتزوج ثانية ثم ان القانون الفرنسوي لم يكن يجيز الطلاق قبل سنة ١٨٨٤ ولم يكن عدد السكان يزيد كثيراً حين ذاك زد على ذلك ان الطلاق جائز في بلدان اخرى ومواليدها كثيرة رغماً عن ذلك . ولم يكن القانون الفرنسوي يجيز للمحاكم ان تنظر في الدعاوي التي يطلب بها اثبات بنوة الابن غير الشرعي لابيهِ فكان ذلك يعد من الاسباب التي تقلل المواليد الشرعية ولكن قد اجيز لها ذلك السنة الماضية

وقد عد من جملة اسبابهِ ايضاً ميل الفرنسويين الى عيشة الرفاه والرخاء واستُشهد على ذلك بان المواليد تقل كثيراً في المقاطعات الغنية وان المواليد بين فقراء باريس تبلغ ضعفي المواليد بين ذوي اليسار من اهلها ولكن الحال على مثل ذلك في جميع البلدان فهذا السبب ليس خاصاً بالفرنسويين

فالسبب الاكبر لنقص الشعب الفرنسوي ليس في احوال الشعب الخارجية من اجتماعية وقانونية ودينية بل هو ان الفرنسويين لا يصبأون بتخليف النسل . هذا هو السبب الاكبر اما الاسباب الاخرى ككثرة الوفيات وادمان المسكرات والطلاق وكل ما تقدم ذكرهُ فاسباب ثانوية . وقد قوّى فيهم كره تربية الاولاد انتشار مبادئ مالثوس (١) بينهم وكثرة الذين يفرونهم بالاجهاض وتقليل النسل تخلصاً من اعباء تربية الاولاد وعملاً على تقليل الناس دفعاً للضيق المقبل على ما يزعمون ويؤيد المالثوسيون زعمهم بالاستشهاد بغلاء المعيشة وصعوبة تحصيل المعاش ويقولون ان عظمة الشعب لا تكون بكثرة افراده بل بارتقائهم وان بلاد فرنسا لا تحتمل من السكان اكثر مما فيها الآن فما النفع من ازدياد الفرنسويين اذا كان لا بد للذين يزيدون من ان يهجروا الى اميركا وغيرها من البلدان الاخرى . وقد انبرى

(١) عالم اقتصادي انكليزي قال ان اسباب المعيشة تزيد على نسبة حسابية واما عدد السكان فيزيد على نسبة هندسية وطرق فسحاً في وقت تحرم فيهِ اسباب المعيشة الفتك بما يخلي لمعيشة الناس

لمقاومة هذه الآراء بعض اقطاب الفرنسويين وقد يجحون بحمل الحكومة على سن قانون يمنع نشرها

ويظهر مبلغ تأثير هذه الآراء من ان المقاطعات التي انتشرت فيها تلك مواليدها كثيراً · وقد زادت حوادث الاجهاض التي عولجت في مستشفيات الامهات بين سنة ١٨٩٨ وسنة ١٩٠٤ ثلاثة اضعاف وعدد حوادث الاجهاض في باريس اكثر من عدد المواليد ويقال ان ثلثي حوادث الاجهاض فيها اختيارية مقصودة · وقد قدر المسيو برتيون حوادث الاجهاض في فرنسا فقال انها ٥٠٠٠٠٠ ولكن المسيو بلوتو قال انها قد لا تقل عن ١٠٠٠٠٠٠ في السنة

ومن الاسباب التي تدفع الفرنسويين على تقليل نسلهم حرص طبقة العمال ومستخدمي الحكومة على عيشة الرخاء مع قلة دخلهم · فاجرة العامل الفرنسوي نحو ١٦ قرشاً في اليوم ويبلغ مستخدمو الحكومة نحو مليون ومتوسط ما يتقاضاه الواحد منهم في العام لا يزيد على مئة جنيه كثيراً · ومتوسط عدد الاولاد في كل مئة عائلة من عائلات مستخدمي الحكومة ١٥ فقط · ومن اسباب تقليل النسل المهمة الميل الى ادخار المال وهذا الميل شديد في الفرنسويين خصوصاً في طبقة الفلاحين واصحاب الدكاكين وصغار الملاك · ويظهر من الاحصاءات ان المواليد تقل حيث يكثر الاقبال على بنوك التوفير · ومطمح آمال كل اب ان يترك ثروة لاولاده ويجهز بنته بدوطة ولا يتيسر ذلك للفقير الا اذا قل اولاده · ويقال ان للفلاح الفرنسوي تعلقاً شديداً بارضه وممتلكاته فيعز عليه ان تقسم فيفضل ان يكون له وارث واحد يرثها بجملتها حتى ولو كان ذلك اوارث بنتاً لا تديم اسمه ولا تقيم له نسلاً · والقانون الفرنسوي لا يجيز للوالد ان يميز بين اولاده في وصيته · وعند لروى بوليو ان سبب قلة المواليد في فرنسا هو نظر الفرنسويين الخديث في العائلة فانهم يعدون الاولاد عبئاً ويعتقدون ان العائلة يجب ان يرتفع شأنها في كل جيل عما كان في الجيل الذي قبله · وكل اب يريد أن يرى ابنه في مركز اعلى من مركزه فالعامل يريد ان يرى ابنه مأموراً في الحكومة او من الملاك والفلاح يريد ان يرى ابنه محامياً او طبيباً او تاجراً ولا سبيل الى احراز هذه المطامح الا بتقليل الاولاد ليمكن الانفاق عليهم فطموح جميع افراد الامة الى الارتقاء هو في عرفه السبب المهم في نقص المواليد الفرنسوية في الآونة الاخيرة

الذرائع لتكثير السكان

تنوعت الآراء في الذرائع التي يجب على الفرنسويين اتخاذها لتكثير عددهم · واول ما يشير

به كتابهم العين على تقليل الوفيات خصوصاً وفيات الاطفال فانها سدس اوفيات كلها وتتراوح بين ٥٠٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠٠ في السنة وثلثها من الاطفال الذين لم يتجاوزوا شهراً واحداً من العمر ويتوصل الى ذلك بالاحتياطات الصحية العمومية ومراقبة بيع اللبن وترغيب الامهات بارضاع اطفالهن ومن هذا القبيل القانون الذي سن حديثاً حظر استخدام الحبالى في المعامل مدة ستة اسابيع قبل الوضع وستة اسابيع بعده والزام المعامل التي تستخدم الامهات ان تعد امكنة خاصة للاطفال بحيث يستطيع امهاتهم ارضاعهم واطعامهم . ويقال ان امثال هذه الوسائل تجي ٥٠٠٠٠٠ طفل من الموت كل سنة

وقد اخذت الحكومة تنظر في ترخيص ايجار المساكن للعائلات الكبيرة وسنت قانوناً يوجب عليها اعانة الاب الذي يزيد اولاده على ثلاثة اذا ثبت انه محتاج الى الاعانة

وقد اشار البعض بزيادة الاهتمام بمكافحة السل ومنع الطلاق وتحريم الترهب فان في فرنسا ٦٠٠٠٠ راهبة ولكن هذه الوسائل كلها لا تصيب الداء وقد قال المسيو برتيون اذا اخليت الاديار من الراهبات فاكبر زيادة في المواليد يؤمل حصولها لا تفوق ٥٠٠٠٠ وفرنسا في حاجة الى ٥٠٠٠٠٠ مولود كل سنة

وعند المسيو لروى بوليو وجماعة غيره انه يجب على حكومة فرنسا ان تكف عن مناهضة المذاهب الدينية وان تسن الشرائع التي تضيق على الذين يسببون الاجهاض او يقتلون الاطفال ويشير البعض بتخفيض الرسوم التي تتقاضى من طالبي الزواج وتسهيل المعاملات القانونية عليهم وتخفيف الشروط التي يوجب القانون توفرها فيهم . وقد يكثر ذلك عقود الزواج ولا يكثر المواليد كما تقدم

ومن رأي المسيو لروى بوليو ايضاً ان تهون الحكومة على الاجانب التجنس بالجنسية الفرنسوية اغراء لهم على المهاجرة الى فرنسا وان تجوز للآباء ان يميزوا بين اولادهم في ارثهم لكي يستطيعوا ان يختصوا احدهم بمعظم املاكهم ويأمنوا تقسمها وتبددها وان تشارك الحكومة الوارث الوحيد في ارثه فتقاسمه الارث كما لو كان له اخوة

وقد اشير ايضاً بدفع الاعانات المالية للعائلات اذا كثر الاولاد فيها وبضرب الضرائب على العزب وعلى المتزوجين الذين لا اولاد لهم وبتخفيض الضرائب على ارباب العائلات . وفي فرنسا اكثر من ١٥٠٠٠٠٠ عزب فوق الخامسة والعشرين من العمر ونحو ٢٠٠٠٠٠ عائلة لا اولاد فيها ونحو ٣٠٠٠٠٠ عائلة فيها ولد واحد ونحو ٢٥٠٠٠٠ عائلة فيها

ولدان وقد قال احدهم ان من يربي ولداً يقوم نحو الامة بخدمة لا تقل اهميتها عن الخدمة في الجيش او عن دفع الضرائب

ويرى البعض ان على الحكومة ان تقدم ارباب العيال على غيرهم في الاستخدام في الوظائف التي لا تقتضي معارف فنية وانها تحسن صنعاً اذا حظرت الاستخدام في وظائفها على كل من لم يكن له ثلاثة اولاد او اكثر . ومن الكتاب من يستحسن تمييز الحكومة في الاجور التي تنقدها مستخدميها فتراعي في ذلك كثرة النفوس التي يعولها الموظف او قلتها وقد سارت بعض دوائر الحكومة على نسق يقرب من ذلك فتكفلت بدفع الاعانات للآباء اذا كثر اولادهم

ولكن ضرب الضرائب على العزب ودفع الاعانات الى ارباب العائلات الكبيرة ومشاركة الوارث الوحيد في ارثه جربها الرومان فلم تجدهم . والذرائع الاخرى التي اشير بها بعضها مما يستحيل العمل به وجميعها لا تأتي بالفائدة المطلوبة . وافضل منها في راي بعض الكتاب العمل على تغيير آداب الفرنسويين وعاداتهم حتى يشعر كل رجل وكل امرأة منهم ان من واجباته ان يلد اولاداً ويعولهم ليشبوا ويقوموا باعباء بلادهم ويرفعوا شأن امتهم اما الوسائل الاخرى الخارجية فلا تنفع الا اذا ساعدت على احياء هذا الشعور في الصدور

وقد كثر اهتمام الفرنسويين بنقص عددهم واخذ علماؤهم وكتابهم يعالجون هذه الآفة ويبحثون عن الوسائل التي تمكن من ايقاف النقص ولكن المسألة صعبة جداً فالادواء الاجتماعية اصعب الادواء مراساً

هذا وعندنا ان الميل الى اختلاف النسل فطري في الانسان كما هو في الحيوان والنبات . فما دام الناس على الفطرة فهذا الميل قوي فيهم لا يعارضهُ معارض لاسيما وانهم يستفيدون من اولادهم وقلما يتعبون في تربيتهم واعالتهم ولا يتألم نساؤهم في ولادتهم فاذا ارتقى الناس بقي هذا الميل فيهم على حالهِ ولكنهُ يلقى حينئذٍ مصاعب كثيرة تحول دونهُ كزيادة آلام الولادة وكثرة نفقات الاولاد في تربيتهم وتعليمهم ولاسيما نفقات البنات وقت تزويجهن فتتعارض الاميال الفطرية والمصالح المادية فاذا استطاع الناس ان يكبحوا الميل الفطري او يصرفوهُ على وجه آخر حتى يقل اولادهم وتسهل تربيتهم واعالتهم فالغالب انهم يفعلون ذلك وعليهِ لا يجتمل ان يصدق الناس ازاقون عن تقليل اولادهم الا اذا رسخ في نفوسهم ان ذلك اثم دينيٌ يعاقبهم عليهِ الله او اذا بذلت العناية في تقليل آلام الولادة ونفقات الاولاد وسنت شرائع ينتفع بها الذين يكثر اولادهم حتى لا يضطروا الى كبح الميل الفطري